

تفسير ابن كثير

وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ

يقول تعالى : (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي : ابتليناهم بالمصائب والشدائد ، (فما

استكانوا لربهم وما يتضرعون) أي : فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة ،

بل استمروا على ضلالهم وغيهم . (فما استكانوا) أي : ما خشعوا ، (وما يتضرعون) أي

: ما دعوا ، كما قال تعالى : (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم

الشیطان ما كانوا يعملون) [الأنعام : 43] . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ،

حدثنا محمد بن حمزة المروزي ، حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبي ، عن يزيد يعني :

النحوي عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قال : جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : يا محمد ، أنشدك الله والرحم ، فقد أكلنا العلهزي يعني : الوبر والدم فأنزل

الله : (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) وهكذا رواه النسائي عن

محمد بن عقيل ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، به . وأصل هذا الحديث في

الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال : "

اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف " . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ،
حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان ، عن وهب بن
عمر بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه ، فقال له رجل من الأبناء : ألا أنشدك بيتا من
شعريا أبا عبد الله؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله ، والله تعالى يقول : ()
ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال : وصام وهب ثلاثا
متواصلة ، فقيل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله؟ قال : أحدث لنا فأحدثنا . يعني : أحدث
لنا الحبس ، فأحدثنا زيادة عبادة .